

الحسين في المعتقد الشعبي المصري

هذا عنوان اطروحة الماجستير للباحث المصري المهندس شريف محمد راشد بكري الصدفى من سكان القاهرة ، يحمل بكالوريوس هندسة بتقدير جيد من جامعة القاهرة عام ١٩٧٦ واجتاز بنجاح أربعة فصول دراسية بالمعهد العالي للفنون الشعبية ويعمل حالياً مديراً عام المشروعات بشركة كوندیشن - القاهرة ، التقيناه في مفتتح شهر أيار ١٩٨٩ وهماو يحدثننا عن اطروحته التي تحمل العنوان المذكور ليقدمها الى اكاديمية الفنون - المعهد العالي للفنون الشعبية للدراسات العملية بالقاهرة :

تنبع أهمية هذه الدراسة من طبيعة الحدث ذاته الذي ارتبط بصاحبه أوثق ارتباط حتى صار لا يذكر هذا الحدث إلا بصاحبه ، وأصبح صاحب الحدث شكلاً تاريخياً وعقائدياً مختلف فيه الآراء إذا بحثه الدارسون ، وتوحد فيه الفرق إذا انتقل الأمر الى الشعوب ولا أجد تعبيراً لوصف الحدث الأول خيراً مما قالته السيدة زينب قبالة يزيد بن معاوية عندما ساقوها ومن بقي حياً من آل البيت بعد معركة كربلاء إذ قالت له :

«لقد جثتم شيئاً أذا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً» . من أعماق هذه المأساة تنمة لمأساة أبيه علي بن أبي طالب - تولدت ظاهرة كان ولا يزال لها أبلغ الأثر في مسار تاريخ المنطقة الاسلامية بأسرها حتى لنلقاها اليوم تنتظم حياة شعوب بكاملها وجماعات متفرقة في شعوب أخرى ، ظاهرة لها تناغمها الداخلي ولها تفاعلاتها مع غيرها من الظواهر .

وهذه الظاهرة من التشابك والتعقد بحيث لا يمكن النظر إليها إلا من خلال زوايا متعددة تتكامل فيما بينها لتعطي الكل المشكل لجوهر هذه الظاهرة .

فأولاً : هي معتقد يحوي الأفكار الأساسية المشكلة لجوهر التفكير لدى كثير من البشر على اختلاف انتماءاتهم وأعمارهم ودياناتهم وهي تلك المتعلقة بالظن في قوة خاصة ترتبط بأشخاص بعينهم وهم (الأولياء) .

ودراسة الحسين بن علي في المعتقد الشعبي تتطلب ما يلي :

- (١) - دراسته (بالإضافة الى ولايته) من خلال المعتقد الشعبي في آل البيت بشكل عام .
- (٢) - دراسة الطرق الصوفية المنتسبة اليه .
- (٣) - دراسة المعتقد الشعبي في السلسلة المنتسبة اليه (الأشراف) .
- (٤) - دراسة بعض الأفكار المرتبطة به وتتبعها من خلال المصادر المختلفة كأفكار :

- الغيبة .

- العودة .

- المسيح الدجال .

- المهدي المنتظر .

- يوم عاشوراء (العاشر من محرم) .

- الاربعين (٢٠ صفر) .

- فكرة الفداء بالدم وخلاص العالم بين المسيح والحسين .

- بين يحيى بن زكريا والحسين .

(٥) - دراسة التسمية في المعتقد الشعبي من خلال التسمي باسم الحسين أو التسمية

بـ (عبد الحسين) وإطلاق الاسم على المحلات العامة في الأحياء الشعبية .

ثانياً : فإن الحسين بن علي موضوع كثيف المادة واسع الانتشار في الأدب الشعبي قصة ومرثية واسطورة وتاريخاً .

وكفى دلالة على ذلك ما جاء في الروايات عن مولده وكفاحه وموته ومقامه من الموت وما ارتبط بهذه المراحل من عجائب .

ومما روي في المولد أن ألفاً من الملائكة نزلت لتبشر جده محمداً صلى الله عليه وسلم بمولده

ولكن جبريل واساه بينما هو يهنئه وأعطاه حفنة من ثرى كربلاء ، وأن مولده يشابه تماماً مولد

يحيى بن زكريا الذي جاء قبل مواعده بثلاثة أشهر وكذلك كان موتهما مقطوعي الرأس .

وأما موته فكان سبباً في استحالة النهار ظلاماً والسماء دماء يقطر على العباد حتى لتتشق

الحجارة عن دم بين دمشق وخراسان .

وفي رواية أخرى أن ضواري الصحارى وأسماك البحار شاركت زوجات جن الأرض

وملائكة السماء في النوح على صريع كربلاء .

وبينما كان الرأس المقطوع محمولاً كتبت ببراءة غامضة أبياتاً منذرة بالشؤم على جدار ،

ووجدت هذه الأبيات نفسها مسجلة في كنيسة للروم قبل بعث محمد (ﷺ) بثلاثمائة عام .

ذلك بعض قليل من كثير روي عن الحسين أوردته للدلالة على مدى ثراء الموضوع محل البحث وبذا فإن دراسة الحسين شعبياً لا تتم في غياب دراسة الأدبيات الشعبية عنه . ولعلنا لسنا في حاجة الى تأكيد علاقة الترابط العضوي بين المعتقد والأدب الشعبي خاصة عند دراسة الحسين .

ثالثاً : فقد تمخض الاعتقاد في الأولياء عن (المولد) كمظهر احتفالي شعبي ، بينما ولدت مأساة الحسين (المأتم) .

وبينا تعددت مظاهر الانشراح في الأول استحال في الثاني رثاء وبكاء ونواحاً وعويلاً ، وبينما كانت طقوس ادونيس الاحتفالية وأغاني ديونيس تمهيداً لبزوغ التراجيديا اليونانية كانت طقوس (المأتم) او (التعازي) بمثابة المسرح الاسلامي - في قول - أو هي جيل الدراسة الاسلامية الأول قبل المسرح العربي في قول آخر .

إن إعادة تمثل آلام الحسين طوال العشرة أيام الاولى من محرم كل عام تذكرنا على الفور بإعادة المسلمين تمثل آلام هاجر وابنها اسماعيل ممثلة في شعائر الحج في ذي الحجة من كل عام . فهاذا تنبىء إذن عنه هذه الممارسة وتلك المشابهة .

وبعد : فقد تأصل المعتقد داخل معتنقيه وغذته الممارسة الجماعية للطقوس المرتبطة به فأبقت متاججاً في نفوسهم مما أسفر عن أخطر تغيرات العصر في المنطقة بأكملها .

ومن هنا كانت الأهمية البالغة لدراسة الحسين شعبياً .

ورغم أن الموضوع الواحد يمكن دراسته من خلال الأفرع المختلفة لميادين البحث في المأثورات الشعبية كما سلف التنويه عنه إلا أن الباحث يرى ان المنطلق الأول لهذه الدراسة لا بد وأن يكون هو المعتقد ، ذلك انه هو مبعث الحركة الاول ومفجرها ، ثم تبعته اللواحق الاخرى في عملية تأثير حيني على مدى التاريخ .

منهج موضوع الدراسة :

الباب الأول : الحسين تاريخياً ويتضمن هذا الباب تتبع قصة الحسين في المدونات والدراسات السابقة .

الباب الثاني : الدراسة الميدانية وذلك في المعتقدات الشعبية .

الباب الثالث : الدراسة التحليلية وتتضمن دراسة النتائج والمقابلة بين المفهوم الرسمي والشعبي

ومحاولة قياس الانحراف ومدلولاته . Deviction